



سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (201)



هذا هو الحق

حافظوا على قول :

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ
إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ
فإن أولها توحيد و أوسطها تسبيح
و آخرها إستغفار

قوله من تفسير سورة الانبياء الآية 87

تعالى ولا نابع

ولا تنسونا من صالح دعائكم

أعدّها (عزمي إبراهيم عزمي)

1

12- صخّة اعتقاد أهل السنة والجماعة أن التزيه يتضمّن الكمال والعظيم لله ربّ العالمين؛ فإن قوله: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي أنزهك عن كلّ سوء، ومن ذلك ما وقع مني؛ فإنه ليس بظلم منك؛ فإنك تزيهه عنه، وإنما بسبب جنابتي على نفسي، فدل أن التزيه يتضمن التناء والعظيم من كل الوجه.

13- من كانت له حاجة عند ربه تبارك وتعالى فليدع الله بهذا الدعاء الذي دعا به نبي الله يونس عليه السلام، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دَعُوهُ ذِي الثُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، فإنه لم يدع بما زجّل مُسَلِّمٌ في شيء قط إلا استجاب الله له" [رواه الترمذي].

14- علاج المم والكرب والبلاء والخزن يكون بالإيمان والعمل الصالح قال تعالى: "من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنصينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون" سورة النحل آية 97 وخير علاج لهم والكرب والبلاء قراءة القرآن الكريم بتدبر فهو ربيع القلوب ونور الصدور وجلاء الأحران وذهاب الهوم والعموم والشقاء لجميع الأمراض البدنية والقلبية قال تعالى: "ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي أولئك ينادون من مكان بعيد". سورة فصلت آية 44.

15- في هذه الآية إقرار بالتوحيد، وإثبات للتزيه، واعتراف بالذنوب، وهي أركان ثلاثة عليها تقوم العبودية وما ينال ما عند الله من لطف ورحمة ورزق وهداية، ولهذا فرج الله عن يونس عليه السلام لما فاقها، وبفرج عن كل من فاقها من المؤمنين.

والله اعلم

وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

6

الفوائد :

1- فضيلة دعوة ذي الثون: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. إذ ورد أنه ما دعا بما مؤمن إلا استجاب له، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقوي هذا الخبر.

2- تضمن هذا الدعاء الجليل صدق العبودية لله تعالى ربّ العالمين من كل الوجه.

3- أن الدعاء كما يكون طلباً صريحاً يكون كذلك تعريضاً متضمناً للطلب.

4- أن هذه الصيغة جمعت آداب الدعاء، وأسباب الإجابة، فيحسن بالعبد أن يكثر منها حال دعائه، وكربه، وغوميه، وشدائده، كما أخبر بذلك الشارع الحكيم.

5- هذه الدعوة فيها من كمال التوحيد، والإيمان بالله تعالى، الذي ينبغي لكل داع أن يضمن هذه المضامين في أدعيته.

6- فيه دلالة على أن التيسير سبب للإحياء من الكرب والمهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ فسبح بحمد ربك وتكبر من الساجدين ﴿[14]﴾.

7- إن التوحيد والإيمان والإقرار بالذنوب من أكبر أسباب النجاة من مهالك الدنيا والآخرة.

8- إن الذنوب من أعظم الأسباب الموجبة لزوال النعم، وحصول النقم.

9- ينبغي أن يدعوا العبد بحسن ظنّ عظيم في حقّ ربه تعالى حال دعائه؛ فإن الله تعالى يعامله على حسب ظنه به.

10- إن ما يوقع على العبد من المصائب فإن سببها تقصيره في حق ربه تعالى.

11- إن كل الخلل مهما كانت رتبهم ومنزلتهم مفتقرون إلى الله تعالى فليعلم أن يفرّوا إليه وحده بالدعاء والرجاء والرغبة والرغبة.

5

المعنى الإجمالي :

هذه الدعوة من الدعوات العظيمة المباركة في كتاب ربنا جل شأنه دعاء يونس عليه السلام الذي بعثه جلّ في علاه إلى أهل (نوى) من أرض موصل في العراق، وقد قصّ لنا كتاب الله تعالى في عدة مواضع عنهم كما في هذه السورة، وفي سورة (الصافات)، وفي سورة (ن) دلالة على أهميتها لما فيها من الحكم، والفوائد الجليلة في مصالح الدين والدنيا والآخرة، وقد ذكرت لنا التفاسير:

أن الله تبارك وتعالى أرسله إلى قومه، فدعاهم إلى الله تعالى بالإيمان به، فأبوا عليه، ولم يؤمنوا، وتنادوا في كفرهم فودعهم بالعذاب بعد ثلاث، ثم خرج من بين أظهرهم مغاصاً لهم قبل أن يأمره الله تعالى، فظن أن الله تعالى لن يقضي عليه عقوبة ولا بلاء، فلما تحقّقوا من ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفاطم وأنعامهم ومواشيهم... ثم تضرّعوا إلى الله تعالى وجأروا إليه... فرجع الله عنهم العذاب، قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قُرْبَى أَمَتٌ فَتَقَعَهَا بِمِائَتِهَا إِلَّا قَوْمٌ يَؤُوسُونَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِظَابَ الْحُزْنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعْتَمُهُمْ إِلَى جَنٍّ﴾ [4].

وأما يونس عليه السلام فإنه ذهب فركب مع القوم في السفينة، فليجحت بهم، وخافوا أن يغرقوا، فافتزعوا على رجل يلقيهم في البحر... فوقعته القرعة على يونس، فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوها ثلاث مرات فوقعته عليه، قال تعالى: ﴿فَنَاسَهُمْ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [5]، فالتقى بنفسه في البحر، فأرسل الله تعالى من البحر حوتاً عظيماً، فالتهم يونس، وأوحى الله جلّ شأنه ألا يأكله، بل يبتلعها ليكون بطنه له سجناً [6].

فلما صار عليه السلام في بطن الحوت ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾: ﴿قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ظِلْمَةٌ بَطْنِ الْحُوتِ، وَظِلْمَةٌ الْبَحْرِ، وَظِلْمَةُ اللَّيْلِ﴾ [7]، فاستغاث بربه السميع العليم الذي لا تخفى عليه خافية في السماء والأرض، مهما دقت وخفت، فأجاب الله تعالى كما هي سنته مع الموحدين المخلصين الداعين.

3

سورة الانبياء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وَذَا الثُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ

أَنْ لَنْ يَفْقَرُ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي

الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

(87)﴾

شرح الكلمات:

وذا الثون: هو يونس بن مئى عليه السلام وأضيف إلى الثون الذي هو الحوت في قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ لأن حوته كبيرة ابتلعته.

إذ ذهب مغاصباً: أي لربه تعالى حيث لم يرجع إلى قومه لما بلغه أن الله رفع عنهم العذاب.

ظن أن لن يفقر عليه: أي أن لن نجسه ونضيق عليه في بطن الحوت من أجل مغاصبه.

﴿فَنَادَى﴾ نادانا ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ جمع ظلمة: وهي ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ بعدد ويقصد ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تعاليت وتنزهت ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ حيث ترك مداومة قومه والصبر عليهم أو في الخروج من غير إذن له ففزع ربه عن الظلم ونسبه إلى نفسه اعتزافاً واستحقاقاً.

وما دعا داع بدعاء يونس عليه السلام: إلا فرّج الله همّه، ودفع كربّه، وأنجاه من كل بلية.

2

وكانَ لسان حاله يقول: أي يا رب أنت الواحد المفرد بالألوهية، المزه عن كل نقص وعيب، ومن ذلك أن ما وقع لي ليس بظلم منك، فأنت الكامل في أسمائك، وصفاتك، المزه عن كل سوء، فبأي ظلمت نفسي، واعتزفت بذنبي بتعريضى للهلاك، فضمت هذا الإقرار: طلب الغفران منه جل وعلا، والتجاوز عنه، وإفادته ما هو فيه من الكرب، والشدة، بالطف الكلمات.

أنواع الظلم :

((الظلم): وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إمّا بنقصان، أو بزيادة، وإمّا بعدول في وقته أو مكانه، وهو ثلاثة أنواع: الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه: الكفر، والشرك، والنفاق.

والثاني: ظلم بينه وبين الناس.

والثالث: ظلم بينه وبين نفسه)

تضمن هذا الدعاء من كمال التوحيد والعبودية في

ثلاثة مطالب عظيمة :

1 - إثبات كمال الألوهية وإخصاصها بالله عز وجل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ .

2 - إثبات كمال التزيه لله تعالى عن كل نقص، وعيب، وسوء المنضم لكماله تعالى من كل الوجه: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ .

3 - الاعتراف بالذنوب والخطأ المنضم لطلب المغفرة، المستلزم لكمال العبد من الخسوع، والذل لله تعالى: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

فتضمن هذا الدعاء المبارك أنواع التوحيد الثلاثة:

توحيد الألوهية المنضمين لتوحيد الربوبية في قوله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ . - وتوحيد الأسماء والصفات في قوله: ﴿سُبْحَانَكَ﴾

فهذه أنواع التوحيد التي عليها الصلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

4

4